ورثة الفردوس (6)

(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

هنا تشير الآية الثامنة إلى الصفتين الخامسة والسادسة من صفات المؤمنين ، حيث تقول: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)

قال ابن كثير : أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله : آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان.

ما هي الأمانة؟

الأمانة هي أداء الحقوق، والمحافظة عليها، فالمسلم يعطي كل ذي حق حقه؛ يؤدي حق الله في العبادة، ويحفظ جوارحه عن الحرام، ويرد الودائع... إلخ.

وهي خلق جليل من أخلاق الإسلام، وأساس من أسسه، فهي فريضة عظيمة

حملها الإنسان، بينما رفضت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لعظمها وثقلها، يقول تعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً}الأحزاب: 72 وقد أمرنا الله بأداء الأمانات، فقال تعالى: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} النساء: 58.

وهذه الصيغة صيغة قوة وسلطان لم يقل إني آمركم إنما قال(إن الله يأمركم) يأمركم بألوهيته وعظمته وهذا نحو إن الرئيس يأمر بكذا فهذا أبلغ وأقوى من قولنا صدر قرار بكذا وكذا

وقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) الأنفال 27

والمعنى : يا أيها المؤمنون ، لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه أو تتعدوا حدوده ومحارمه، ولا تخونوا الرسول بأن لا تستنوا بسنته ولا تأتمروا بما أمركم به أو لا تنتهوا عما نهاكم عنه، وتتبعوا أهواءكم ، ولا تخونوا أماناتكم التي تأتمنونها فيما بينكم، بأن لا تحفظوها، وأنتم تعلمون أنكم تخونون ، وتعلمون تبعة ذلك ووباله .

فالآية تؤكد أن الأمانة من صفات المؤمنين، والخيانة من صفات المنافقين، وجعل الرسول الأمانة دليلا على إيمان المرء وحسن خلقه، فقال) : لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)رواه أحمد

أنواع الأمانات

الأمانة في الودائع:

،والمقصود بها حفظ الودائع وأداؤها لأصحابها عندما يطلبونها كما هيوقد أجاز الإسلام قبول الأمانة ما دام المؤتمن قادرا على حفظها، مقتدياً في ذلك برسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ، فقد كان يقبل الأمانة حتى لقب بـ "الأمين"، بل بلغ به الأمر في حفظ الأمانة أنه رغم ما فعلته معه قريش إلا أنه طلب من علي بن أبي طالب ـرضي الله عنهـ أن يتأخر فلا يهاجر معه حتى يتمكن من رد هذه الودائع إلى أصحابها من أهل مكة نيابة عنه

إن قوماً أدوا هذا لأمناء:

وفي فتوحات فارس غنم المسلمون غنائم كثيرة وكان من أعجب ما أخذوا من الغنائم البساط، ـبساط كسرىـ وهذا البساط كان كبير الطول والعرض، وكان كسرى إذا جاء الشتاء يشتاق إلى الربيع، فأمر المهرة والمهندسين والفنيين، فصنعوا له هذا البساط العظيم، وجعلوا اليواقيت فيه مثلما تنبت الأزهار في الربيع ملونة بالألوان المعروفة، فأخذوا اللآلئ واليواقيت والجواهر ولونوها بلون الأزهار، وغرسوها في هذا البساط العظيم، فيجلس كسرى في إيوانه في وسط هذا البساط العجيب، ولم يكن لدى أحد من ملوك الأرض مثل هذا البساط، ولكن ماذا يفعل المسلمون؟

لابد أن يبعثوا بكل هذه الغنائم إلى بيت المال ليقسمها عمر رضي الله عنه، ويعطي من شاء، كما فرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكف كان العمل؟

ليس هناك من وسيلة لنقل هذا البساط كاملاً، فقالوا لابد أن نقطعه، ويحمل كل جمل ما يستطيع، فقطعه سعد رضي الله عنه ومن معه، حتى أوصلوه إلى المدينة ، وقالوا لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: ألا نريك يا أمير المؤمنين كيف كان يجلس كسرى؟! ففرشوا ذلك البساط، وضموا كل قطعة إلى الأخرى، وعمر رضي الله عنه واقف يتأمل ويتفحص، ويتعجب حيث لم تنقص منه لؤلؤة واحدة، فقال: [إن قوماً أدوا هذا لأمناء]

أي: أن جيش المسلمين جيش أمين حين أدى ذلك، لأن ياقوتة واحدة يضعها في جيبه قيمتها بعشرة آلاف دينار! ولم يكن العرب قبل الإسلام يحلمون بألف ولا بمائة درهم أن يكسبها الواحد من أموال كسرى، لكن عمر وجد البساط كاملاً!! فتعجب من هذه الأمانة! وكان بجواره عل بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: [يا أمير المؤمنين عففت فعفوا، ولو رتعت لرتعوا] أي: لو أنك خنت لخانوا، فهؤلاء جيشك تربوا على الإيمان الذي تربيت عليه.

إنها الأمانة !! فهؤلاء القوم لم يخرجوا إلا ابتغاء وجه الله، و كانوا يقاتلون في سبيله ولإعلاء كلمته، وماذا تساوي يواقيت كسرى بالنسبة إلى جنات النعيم؟!

وماذا يساوي أخذ شيء من هذه الدنيا الفانية إذا كان الإنسان متوعداً عليه بغضب من الله عز وجل ونارٍ في الدار الآخرة، فلذلك أدوا تلك الغنائم كاملة

وشهد لهم عمر رضي الله عنه بالأمانة.

:الأمانة في البيع المسلم لا يغِشُّ أحدًا، ولا يغدر به ولا يخونه، وقد مرَّ النبي على رجل يبيع طعامًا فأدخل يده في كومة الطعام، فوجده مبلولا، فقال له: (ما هذا يا صاحب الطعام؟). فقال الرجل: أصابته السماء (المطر) يا رسول الله، فقال النبي :

(أفلا جعلتَه فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غَشَّ فليس مني) مسلم.

أمانة بين البائع والمشتري :

حكي النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه قصة : اشترى رجل من رجل عقاراً له ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك مني ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم ابتع منك الذهب ، فقال الذي شرى الأرض (أي : الذي باعها) : إنما بعتك الأرض وما فيها ، قال : فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية ، قال : أنكحوا الغلام بالجارية ، وأنفقوا على أنفسكما منه ، وتصدقا

النصح لكل مسلم :

أرسل جرير بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه- غلامه ليشتري له فرسا ؛ فابتاع فرسا بمائتي درهم ، فلما رآه جرير وجد أنه يستحق أكثر من هذه القيمة ،

فرجع بالفرس إلى البائع وقال لقد بعت هذه الفرس بمائتي درهم لغلامي ؛ وإنها تستحق أكثر من ذلك !!!

فقال البائع متعجبا : إذن بثلاثمائة !!!

فقال جرير : بل أكثر

فقال البائع : بأربعمائة ... وجرير يقول : بل أكثر....حتى أوصل ثمنها إلى ثمانمائة

فقال البائع متعجبا : والله إنك أمرك لعجب يشتري غلامك فرسا بمائتين فتأبى إلا أن تزيدها إلى ثمانمائة ؟!!!

فقال جرير لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم .

الأمانة في العبادة: فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين.

قال تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب / 72 .

فسرت الأمانة هنا بالتكاليف الشرعية .

قال قتادة : الأمانة : الدين والفرائض والحدود .

وقيل : بل عنى بالأمانة في هذا الموضع : أمانات الناس .

وقال بعضهم : الغسل من الجنابة .

وقال زيد بن أسلم : الأمانة ثلاثة : الصلاة ، والصوم ، والاغتسال من الجنابة .

قال ابن كثير رحمه الله :" وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف ، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أثيب ، وإن تركها عُوقِبَ ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه ، إلا مَنْ وفق اللَّهُ " انتهى .

وقال الشنقيطي رحمه الله :" ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة ، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال ، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها ، أي : خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهن من ذلك عذاب الله وسخطه ، وهذا العرض والإباء والإشفاق كله حق ، وقد خلق الله للسماوات والأرض والجبال إدراكا يعلمه هو جل وعلا ، ونحن لا نعلمه ، وبذلك الإدراك أدركت عرض الأمانة عليها ، وأبت وأشفقت ، أي : خافت " انتهى . " .

هل العرض حقيقي أم مجازي ؟

وقع خلاف بين العلماء في كيفية العرض و حقيقته ؛ فمنهم من رأى أن العرض حقيقة , وقع على السموات و الأرض و الجبال و الإنسان . و منهم من رأى أن العرض مجاز و تمثيل: فالمعنى أن الله قايس ثقل الأمانة بقوة السموات و الأرض و الجبال فرأى أنها لا تطيقها و أنها لو تكلمت لأبت و أشفقت فعبر عن هذا المعنى بقوله " إنا عرضنا الأمانة " و هذا كما تقول : عرضت الحمل على البعير فأباه . و أنت تريد قايستُ قوته بثقل الحمل فرأيت أنها تقصر عنه.

أي إنا عرضنا التكاليف كلها من فرائض وطاعات على هذه الأجرام العظام، فلم تطقها وأبت تحمل مسئوليتها، وخافت من حملها، لو فرض أنها ذات شعور وإدراك، ولكن كلّف بها الإنسان، فتحملها مع ضعفه، وهو في ذلك ظلوم لنفسه، جهول لقدر ما تحمله.

الأمانة في حفظ الجوارح:

وعلى المسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء **كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله ـ سبحانه ـ؛ فالعين أمانة يجب عليه أن يغضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنِّبَها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة...وهكذا.**

الأمانة في العمل: ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئٍ

واجبه بجد واجتهاد.

الأمانة في الكلام: ومن الأمانة أن يلتزم المسلم بالكلمة الجادة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها ؛ فالكلمة قد تُدخل صاحبها الجنة وتجعله من أهل التقوى، كما قال الله تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} إبراهيم 24.

وقد ينطق الإنسان بكلمة الكفر فيصير من أهل النار، وضرب الله ـ سبحانه ـ مثلا لهذه الكلمة بالشجرة الخبيثة، فقال: {ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} [إبراهيم: 26].

وقد بين الرسول أهمية الكلمة وأثرها، فقال: (إن الرجل لَيتَكَلَّمُ بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه) [مالك]. والمسلم يتخير الكلام الطيب ويتقرب به إلى الله ـ سبحانه ـ

المسئولية أمانة: **كل إنسان مسئول عن شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكمًا أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلا أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، قال :**

(ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية

على بيت بعلها (زوجها) وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) متفق عليه.

ولما قال أبو ذر للنبي ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ،ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)

الأمانة في حفظ الأسرار: فالمسلم يحفظ سر أخيه ولا يخونه ولا يفشي أسراره، وقد قال النبي : (إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة) أبو داود والترمذي.

ومن أشد ذلك إفشاء السر بين الزوجين ، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله : إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها).

أمانة الدين :

فالرسل أمناء الله على وحيه ، قال : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء). وكذلك كل من جاء بعدهم من العلماء والدعاة، فهم أمناء في تبليغ هذا الدين .

فضل الأمانة:

عندما يلتزم الناس بالأمانة يتحقق لهم الخير، ويعمهم الحب، وفي الآخرة يفوز

الأمناء برضا ربهم، وبجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

الخيانة:

كل إنسان لا يؤدي ما يجب عليه من أمانة فهو خائن، والله ـ سبحانه ـ لا يحب الخائنين، قال تعالى: {إن الله لا يحب من كان خوانًا أثيمًا} النساء: 107.

جزاء الخيانة:

بيَّن النبي أن خائن الأمانة سوف يعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيا وندامة يوم القيامة، وسوف يأتي خائن الأمانة يوم القيامة مذلولا عليه الخزي والندامة، قال النبي : (لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة) متفق عليه

ويا لها من فضيحة وسط الخلائق !! تجعل المسلم يحرص دائمًا على الأمانة، فلا يغدر بأحد، ولا يخون أحدًا، ولا يغش أحدًا، ولا يفرط في حق الله عليه.

الخائن منافق:

الأمانة علامة من علامات الإيمان، والخيانة إحدى علامات النفاق، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان) [متفق عليه]. فلا يضيع الأمانة ولا يخون إلا كل منافق، أما المسلم فهو بعيد عن ذلك.